

جلول عزونة .

الى صاحب : « صحن كفتاجي بالعظمة »
 « واذن في الناس ان الرحيل قريب اذا ما بدأ الهمس قبيل طلوع الشمس » .

« حديث نبوي شريف ما رواه الصحيحان ، لا البخارى ولا مسلم ولا غيرهما ، وهو اذن الى الانتحال اقرب » .

كأنى وأنت في عهد ألف ليلة ، وليلة .. كل شئ مفلط بشئ من السحر والخرافات والابهام والاسرار والبساطة بل واقول السذاجة . وراء كل ذلك او امام كل ذلك وحول ذلك اطار من الجنس لطيف ، رقيق محبب الى آنفس . ولكن ما ابعدنى وابعدك عن هذا الطيف .. فأمامى رجل قد عشى بصره ، لا يرى أبعد من موطىء قدميه لا يكاد يشعر بوجوده الناس من حواه لولا صياحهم وهتافاتهم وبصاقهم .

« ففصلى هذا من فصول العنف في ألف ليلة وليلة » :

فهذا الرجل يعيش تماما كما تراءى في حلم مواطن من مواطنينا ، مناضل من مناضلينا .. قد عرف السياسة بمعانيها القريسة للأذهان والبعيدة عنها ، قد عرف السجن وفعل العنف « وفعلوا له العنف » .

فهذا الرجل اذن قد كشف رأسه ، فتهدل شعره متلبدا ، وبدون انتظام ، وسال عرقه ، ودمعت عيناه .. لا يكاد يرى شيئا الا ذلك الذباب المتزاحم على عمش عينيه وذلك الذيل المتراقص تحت أشعة الشمس ، يضرب به الذباب وكأنه يدفع به دفعا نحو وجه الرجل ، فلا الذباب يولى ولا الذيل ينقطع عن الحركة ولا حرقة الشمس تطف من حذتها ولا الصياح يهتف ولا سيل البصاق يتوقف .

ينهض مواطننا اليوم وفي عينيه خيالات حلمه ، وينام من الغد وكل امانيه ان يعيش من جديد هذا المنظر التهريجى الممتاز .

فهذا الرجل اذن لعبة الصغار .. ولعبة الكبار .. قد صفقوا له بالامس حتى عريت اكفهم جميعا .. ويرجموه الآن فلا تعيب ايديهم ولا يكف سيل

بصاقهم ولا تعيب خناجرهم ولا ينتهى اصطفاؤهم ولا يتعب خيال مواطننا
الممتاز من نفس الحلم ...

وتردده عايبه بالحاح يخفف عليه وطأة الليل وطوله ... لقد كان ينظر
الف ليلة وليلة كاملا غير منقوص ، فها انا وانت في مهرجان قد حضره
الوقت ابشر ، وقد اصطف هؤلاء جميعا على جوانب كل الطرقات وكل
المساحات وحتى في الأزقة وحتى في خفايا رأس مواطننا الممتاز ... كل
هذه الاوف قد اظهرت وحدة في الراى ووحدة في الصف ووحدة في الحركة
وانسجاما « هارومنيا » في هذه السنفونية الرائعة ...

وحتى ذيل الحمار قد نشط في دفع الذباب الى وجه هذا الرجل المطاف
به ، الحاسر الراس ، الاعشى النظر ، يلمهم عمس عينيه ، وينعم بطعم
البصاق المذوق اللذيذ المتهاطل من هذه الانواء الصارخة ، المكشرة ،
المتسخة ، المتهدمة الاسنان ... من فتحات مشوهة مرعبة ، مشنجة ،
متطاولة ... ويسأل الطفل اباه :

— ماذا فعل هذا الممكين ؟ حتى يفعل ما يفعل به ؟

ويجيب الاب آليا وهو يبصق مع الناس :

— هذا كلب حاوف ، اراد ان يكون الكلب فقراء .

ويضيف الابن :

— وهل يفقر الفقراء وهم لا يكتنبون شيئا ؟

— اسكت — فهذا ليس من شأنك — هذا لعب الكبار .

ويصمت الطفل وفي عينيه احلام من احلام الف ليلة وليلة غير تلك
الاحلام لانه يحمل قلبا ناصع البياض ، لا يعرف الف والدوران ،
ولا النفاق ...

« اللعبة لعبة : ولكن اهي لعبة الصغار ام الكبار » :

— مات الباي !

— يحيا الباي

— عجا ابتاه .. حدثنى عن العائلة الحسينية اذن ؟

— وما الحسين بن على وما على بن ابي طالب ؟

— وما النبى ؟ ! لا شىء !

— أهذا كفر !

— نعم كل هؤلاء لا شىء ... بشر قد ظلموا او ظلموا .. ثم ولنوا ،

هكذا الدنيا .. لا امان معها .. تصهرنا .. وتذينا ،،،

ولكننا مع ذلك نتعنت ...

— واحمد باى ؟ أهو باى عظيم ؟ ؟

— تعلم .. كان قصير القامة ولكنه قوى العينين ، اخضرهما —

ثاقب النظر ... ان نظر الى شخص .. يبوله ، ويدهش الابن الكبير والابن

- اصغير ... ولا يريد احد منهما ان يرجع الى عهد الصبي وعهد البول .
- والمهصف باى ! ؟
- كان وطنيا ولكنه لم يكن راشدا باتم معنى الكلمة ...
- والاستقلال ؟
- اسكت ، فهذا ليس من شأنك — هذه لعبة الكبار ...
- « يا وجه الخبزة يا شفاه الشمس ، يا حياتى ... »
- ماذا تحبين ؟ !
- احب التين ، زمن التسين
- وماذا ايضا ؟ ؟
- واحب التين فى غير زمن التين ...
- ثم ماذا ؟
- احب الفل والياسمين والرجل الرصين ...
- وتكرهين ماذا ؟
- واكره الرجل المتحجر القلب .. والرجل الاثنى - المفرور ..
- ثم ؟
- واحب ابى ... شابا وكهلا وشيخا وحيا وميتا .
- عجيب ! !
- واى عجب ان تحب فتاة اباهما ؟
- لا شىء ..
- ابى يبادلنى الحب ، احبه خصوصا وقد اظهر انه احسن تربيتى
- عند ما كان حيا — ويحسن الآن تحمل مسؤوليتى بعد ان مات !
- عجيب !
- نعم .. نعم .. فكل اطفالى نسبتهم اليه ، وقد عز الاباء فى هذا
- العصر ! !
- او يجدر بفتاة ان تكون اما بدون رجل ..
- هذه لعبة الكبار .. اسكت ...
- « وسكت طويلا .. ولكنى كبرت - ولم العب .. مع الكبار ... »
- الرجل اعمش ، ومسكين .. اكل الذباب من عينيه ، فلم يعد يرى ..
- والناس ترجيه .. وما زنى .. وما سرق .. ، وما درى ...
- والسائل ، الطفل يمد يديه ...
- اعطنى ثمن ربيع خبزة ! ! اعطنى ثمن ربيع خبزة ...
- اهذا زمن السؤال .. ! ابصق مع الباصقين ..
- الا تشعر بمثل ما يشعر به اهل البلد ... ؟
- نتج من امامى .. ما اثلك ؟ اليس لك بصاق على هذا المذنب ...
- البصاق .. لى بصاق .. لى كثير من البصاق .

— انن هيا ابصق معنا ...

— بشرط ان تعطنى ثمن ربع خبزة ...

« والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين »

قرآن كريم

نحن نعيش :

انا

وانت

وهو

وطلب الخبز الصغير

في بلد امين

الرجل الاول : انا ادخن السجائر الموردة واشرب الكحول الغالية

وانكح الاناث الاجنبية .. لذلك احب السياحة !! والحمد لله

الرجل الثانى : انا ابن فلان .. اركب الخيول الانكليزية ، والسيارات

الامريكية واسكن القصور المرمرية ، لذلك انا اكره الاشتراكية والحمد لله

الرجل الثالث : انا احب الوز والتفاح ، التين والزيتون واللحم

والاسماك والسكنى بالمدينة .. لكن دخلى متواضع وجيى دائما فارغ ..

ونكى احمد الله ..

الرجل الرابع : انا ومثلى لا زلنا نسكن الاكواخ ، وعلى كل فالحمد لله

الرجل الخامس : انا المسائل ... اشترى الخبز بالبصاق .. ابيع ريقى

وابصق معهم ولا ادرى لماذا ... ولكنى جائع دائما فلا بد من ارضاء اسياى

والحمد لله ..

الجميع : ونحن نلتقى جميعا في بلد واحد وتلتقى في حمد الله ،

والحمد لله على كل حال !!

« ففصلى هذا من فصول العنف في الف ليلة وليلة »

الف ليلة وليلة في راسى ورأسك ورؤوس مواطنينا جميعا ...

وماذا نفعل ..

— انا احلم

— وانت ؟

— انا احلم ايضا ؟

— وماذا ترى في الاحلام ؟

— ارى انى لم اعد ابصق ولم اعد اصفق

— وانت ؟

— ارى ان قرا كبيرا ... من انواع الجرذان الكبيرة جدا .. قد دخل

بعض الدهاليز الباطنية لبناية أفريقيا ، فما احتواه الدهليز ،

واراد التخلص ، فضاعت به الجدران ، فاعتاد البناية كلها على ظهره

على طول شارع بورقيبة .. الى البحيرة ... ثم سبغ بها الى حلق
الوادي .. فالى قرطاج .. فالى سيدي ابي سعيد ، وغرق معها
في اعماق البحر ... فتضيع البناية العظيمة ويضيع معها الضياع
والسكر وتمضية الوقت الفارغ الى الابد ..
— انت تحلم دائما بالجرذان !؟

— وهل اجمل من حلم ترى فيه الجرذان وهي تقضم وتتلوي وتتصايح
وتتصارع ..

— وهل تتكلم الجرذان في احلامك ؟

— كلا ولكنها في ما عدا ذلك فهي تماما كالشجر ، في العظم والتلوي
والصياع والتسابق والوسخ .. وسوء الطوية ..
— ولكن « الف ليلة وليلة » لا تكون كذلك الا اذا كان هناك شهريار
وشهرزاد .

— وهل يمكنك ان تصفهما !

— كلا ويا للأسف ، فان الاحلام يجب ان لا تصبح « لعبة الكبار »
« وهل يفقر الفقراء وهم لا يكسبون شيئا »

انا طفل في التاسعة من عمري .. اتعب في جمع ربع جبنزة ، ولو
كنت فتاة ! ؟ . لاجيب بعض كبراء القوم بي ، ولما تعبت .. لبصق كل يوم
في وجه المطاف به .. وجف البصاق في فمي .. ولا ادري لماذا لا اريد ان
ابصق ولا ادري لماذا اشعر بالاشفاق عليه .. ولكنه الرغيف ..
ولعلني لن ابصق بعد اليوم .. بصاقا ولكن ماء .. اغسل به وجه
المطاف به المسكين .. فأريح بعض عذابه .. واطفىء ضئلي ..
لقد صرت انهم الكثير .. ولكن لعب الكبار .. لا يزال يعمدي رأسي
الصغير ، اللهم الا اذا كان كله تمثيلا وكذبا وبهتانا وغرورا وثانية .. وظلما
وصلفا ..

الارض تدور مع العوالم في صمت وهدوء ، وانسجام ولكن رأسي
يطن ، يتعجر من وقع البصاق على الارض ..

« ولعلني لسن ابصق بعد اليوم .. »

« المناج » يدور .. يدور المناج ورأسي يدور .. وانا كالطفل العب
وأدور .. واصيح

اركب الحصان الخشبي ، واخاله المطهم العجيب .
وتركب السيارة الخشبية الصغيرة والصاروخ والطائرة ويدور المناج
بك ايضا .. ونصف وتبسم .. ويضحك لنا الناس ويتهتمون ، رجل
وامرأة يركبان « المناج » .. وينزل الاطفال ويصفقون ! لنا شعبية !
ويتابعهم الكبار .. يصفقون على وعلى .. «أهى السخرية ، أهى البراءة .
يداعبنا الناس .. اتراهم يشجعونا .. ام ؟ ! . ويكثر الزحام من حولنا

.. منهم مؤيد ومنهم محتج ومنهم الساخط الفاكر ، ولم ننزل ، لا نزال نتابع الدوران ..

ويغضب صاحب اللعبة ويصرخ بنا ..
هذا جنون .. وطيش وبلاهة .. « المناج » للاطفال لا للكبار ، هذه لعبة اطفال .. ويوقف الدوران ولا ننزل . ويعلوننا الصراخ ويمس وجهينا رداذا البصاق ..

« لا شيء .. لا شيء » لا شيء . !! »

حبيبتي الاولى احببتها منذ الصغر .. قبلتها ، ضمتها . استلقيت معها على الحشائش وعلى الامواج .. فنهزى ابوها ونهرها ابي . تلك « لعبة الكبار » .

واقترقنا ...

حبيبتي الثانية تزوجتها .. تمثيت ان احببها معها ، ما لم استطعته مع الاولى ، فغضبت على ، رصاحت « انا اريد منك ابناء كثيرة .. لا القبل ، تلك من العباب الصغار ..

وشاب رأسك ! وعلت رأسى بعض الشعيرات البيضاء ...

— دعنا من الشيب والاحلام ولنتحدث في الواقع !

— الواقع وما هو .. ؟ قد نقضى الليل والنهار نعرف اواقع ولا نعرفه ... الاحسن ان نترك المواضيع الميتافيزيقية مثل تعريف اواقع وتحليل مركبات البصاق والعدوى التى تتسرب بواسطته ، ونترك المواضيع النفسية ، مثل غرق بناية افريقيا في اتجاه سيدى ابي سعيد ، واثر بصاق البشر اذا ما سال على وجوه بشر مثلهم .

— وماذا ترانا نعالج من مشاكلنا اذن ؟

— مشاكلنا في كثرة الكرم والفوص في الماورائيات ونحن لا نستطيع بعد مد البطون بما يازم اجهزتها للدوران ..

— وهذا اليس هو الواقع عينه !

— كائى بك غبى .. واين الواقع في هذا ومن هذا ؟ ، الواقع ان يشرب شهريار الكثير من الجعة كل مساء ويتغازل مع جارية جارته شهرزاد .. ويخون طباخته الماهرة فلا يأكل صحنها ، وان يغتسل بالابن الناصع البياض والطيب الرفيع ويستمتع لوصلات من « المألوف » وان يسب ماسحى الاحذية ويضرب رؤوس عشرات منهم يوميا ويملا السجون من الذين لا يجدون ما يلبسون من الالباس المحترم فيجرحون الافواق والعيون ، وان ..

— كائى تهذى ، انها ابردت ان اقول ان الجرذان ..

— ولا جرذان في الواقع .. انما تلك احلام رجل اثر ان لا يصمت زمن

الصمت .

— الواقع ان الجرذان والواقع شيء واحد . اذن ..
— والله لم تفهمنى .. انما انا سكران ، من طبقة من يأكل فيبشتم
فيهذى ، سامحتنى واهل طبقتى والله هو خير الغافرين ..
« انما تلك احلام رجل آثر ان لا يصمت زمن الصمت »
ويتشاءب صاحب الحمار ، وصاحب الجرذان ، ويفبض عينيه برهسة
فيستريح انمطاف به برهسة ، بل لحظة من عذاب البصاق ومن صراخ
الجيساع ...

تونس جلول عزونه